الإمام الحسين

الموعود بشهادته قبل ولادته

إقرأ في الملف

إستهلال	زيارة يوم المولد
لماذا.. قبل كربلاء؟	أسرة التحرير
أبحاثٌ حسينيَّة مُغيَّبة	من دروس «المركز الإسلامي»
نور الحسين قبل الخَلق	الشيخ علي الجابري
الإمام الحسين في سيرة النبيّين	الشيخ حسين كوراني
نزول الوَحي بالشهادة قبل الولادة	السيّد محمّد كريميان موسوي
اسمي الحسين	الشاعر مهدي جناح الكاظمي

إستهلال

قال الشيخ الطوسي: اليوم الثالث من شعبان، فيه وُلد الحسين بن عليّ عليهما السلام، خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمّد (العسكري) عليه السلام، أنّ مولانا الحسين عليه السلام وُلد يوم الخميس، لثلاثٍ خَلَوْنَ من شعبان فصُمْهُ، وادْعُ فيه بهذا الدعاء:

أللّهمَّ إنّي أسألك بحقِّ هذا المولود في هذا اليوم، الموعودِ بشهادته قبل استهلاله وولادته.

بكتْهُ ملائكةُ السماء ومَن فيها، والأرض ومَن عليها، ولمَّا يطأ لابَتَيْها*.

قتيلِ العَبرة وسيّدُ الأسرة، الممدودُ بالنُّصرة يومَ الكرّة.

المعوَّض من قتله أنَّ الأئمّة من نسله، والشفاءَ في تربته.

والفوْز معه في أوْبته، والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته. حتّى يُدركوا الأوتار، ويثأروا الثار ويرضوا الجبّار ويكونوا خير أنصار، صلّى الله عليهم مع اختلاف الليل والنهار.

أللّهمَّ فَبحقّهم إليك أتوسّل وأسأل سؤال مُعترف، مُقترف، مُسيءٍ إلى نفسه ممّا فرّط في يومه وأمسه، يَسألك العصمة إلى محلِّ رمسه. أللّهمَّ وصلِّ على محمّد وعترته، واحشُرنا في زمرته وبوِّئنا معه دار الكرامة ومحلّ الإقامة. أللّهمَّ وكما أكرمتَنا بمعرفته، فأكرِمنا بزلفته، وارزُقنا مرافقته وسابقته، واجعلنا ممّن يُسلم لأمره، ويُكثر الصلاة عليه عند ذكره، وعلى جميع أوصيائه وأهل اصطفائه، المعدودين منك بالعدد الإثني عشر.

النجوم الزُّهر والحُجَج على جميع البشر.

أللّهمّ وَهَبْ لنا في هذا اليوم خيرَ موهبة.

وأنْجِح لنا فيه كلّ طلبة، كما وهبْتَ الحسينَ لمحمّدٍ جدِّه.

وعاذ فُطرُسَ بمهده، فنحن عائذون بقبرِه من بعده

نشهدُ تربَته وننتظر أوْبته

آمين ربَّ العالمين.

* اللّابة: الحَرَّة، وهي الأرض ذات الحجارة السُود التي قد أَلْبَسَتْها لكثرتها، والمُراد قبل مشيه على الأرض.

***

يتناول هذا الملف ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام، قبل خَلق النبيّ آدم عليه السلام، ثمّ في سيرة النبّيين. وصولاً إلى إخبار الله تعالى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، قبل الولادة. موضوع الملف هو مَحاورِ تأسيسيّة في باب معرفة سيّد الشهداء عليه السلام.

«شعائر»

لماذا.. قبل كربلاء؟

أسرة التحرير

يتركّز الحديث -عادةً- على أعتاب سيّد الشهداء، في إطار ما عُرف باسم «المَقتل»، أي ما يتناول سيرة الإمام الحسين عليه السلام، من هلاك معاوية وطلب يزيد البيعة، إلى كربلاء، وفي كثير من «المقاتل» يتمّ الحديث عن أجواء ولادته عليه السلام.

ما يلي، محاولة لتسليط الضَّوء على ضرورة دراسة سيرة الإمام الحسين عليه السلام، كلّها، من دون اجتزاء، وسنجد تلقائيّاً أنّ هذه المنهجيّة الشاملة تُجيب عن كثيرٍ من التساؤلات حول كربلاء، وعِلْم الإمام الحسين بشهادته، وغير ذلك.

يدعو إلى العناية بسيرة سيّد الشهداء قبل كربلاء، أمور:

* **الأوّل**: أنّ معرفته عليه السلام كمعرفة المعصومين جميعاً «دِين»: «**مَن أراد الله بدأ بكم**».

* **الثاني**: أنّ الروايات التي تتحدّث عن سيّد الشهداء تتضمّن شرط «**عارفاً بحقّه**»، وترتبط هذه المعرفة بمعرفة سيرته عليه السلام كلّها.

* **الثالث**: أنّ ما دأبنا عليه في مجالس العزاء، هو تناول أحداث كربلاء بدءاً من خروج سيّد الشهداء من المدينه وصولاً إلى شهادته عليه السلام. ويكاد المُتبقّي من سيرته عليه السلام يكون مُغيَّباً إلّا المتفرّقات التي تَرِد في مطاوي الحديث هنا وهناك.

* **الرابع**: لا نجد في الروايات عن العلاقة بالمعصومين تأكيداً مُشابهاً للتأكيد على العلاقة بسيّد الشهداء عليه السلام: وهذه بعض النماذج في كلمات بعض الأعلام:

قال الشيخ المفيد في (المقنعة): «وروى يونس بن ظبيان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، إنّي كثيراً ما أذكر الحسين عليه السلام، فأيَّ شيءٍ أقول؟ قال: قُلْ: **صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، تُعيد ذلك ثلاثاً، فإنَّ التسليم يَصِل إلينا من قريب ومن بعيد**».

وقال الشهيد الأوّل الجزّيني العاملي قدّس سرّه في (الدروس): «وثواب زيارته لا يُحصى، حتّى رُوي أنَّ زيارته فرضٌ على كلّ مؤمن، وأنّ تركها تركُ حقٍّ لله تعالى ولرسوله، وأنّ تركها عقوقُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وانتقاصٌ في الإيمان والدِّين، وأنّه حقٌ على الغنيِّ زيارته في السَّنة مرّتين، والفقير في السَّنة مرّة.

وأنَّ مَن أتى عليه حَوْلٌ ولم يأتِ قبره نقصَ من عمره حَوْل، وأنّها تُطيل العمر، وأنَّ أيّام زيارته لا تعدُّ من الأجل، وتُفرِّج الهمّ، وتُمَحِّص الذنوب، ولكلِّ خطوة حجّة مبرورة، وله بزيارته أَجْر عتقِ ألف نسمة، وحِمْلٌ على ألف فرس في سبيل الله، وله بكلّ درهم أنفقَه عشرة آلاف درهم، وأنَّ مَن أتى قبره عارفاً بحقِّه غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخّر. إلى أنْ قال: ومَن بَعُد عنه وصعد على سطحه، ورفع رأسه إلى السماء ثمّ توجه إلى قبره عليه السلام، قال: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، كتب الله له زورة -والزَّوْرَةُ حِجّة وعُمرة- ولو فعل ذلك في كلّ يومٍ خمس مرات كَتب الله له ذلك».

ولا شكّ في أنّ هذه العلاقة النوعيّة لا تنفصل عن العلاقة برسول الله صلى الله عليه وآله والعلاقة بأيٍّ من أهل البيت عليهم السلام، وهي لا تحَصل بالشكل الأفضل إلّا مع معرفة أفضل بكلّ سيرة سيّد الشهداء عليه السلام.

* **الخامس**: أنَّ المحمّدي حسيني وإلَّا فلا، أي أنَّ الموحِّد حسيني وإلَّا فلا. ولا شكَّ في أنَّ هذه الحقيقة مرتبطة جذرياً بمعرفة الحسين عليه السلام.

** يؤكِّد حقيقة أنَّ المحمّدي حسيني وإلَّا فلا:

١- إجماع المسلمين على قوله صلى الله عليه وآله: «**حسينٌ منِّي وأنا من حسين**».

٢- تأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام على أنَّ على كلِّ مسلم أن تكون حياته كلّها في الدنيا والآخرة مرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام، ويكفي لاستيضاح ذلك نظرة متأنِّية في العناوين التالية التي تكثر حولها الروايات:

*تحنيكُ المولود بتربة الحسين. *حَمْلُ تربة الإمام الحسين عليه السلام للأمان، مع قراءة دعاء الإعتصام، الذي هو دعاء عليٍّ عليه السلام ليلة المَبيت في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.

* ذِكْرُ الحسين عليه السلام عند شرب الماء. *السلام عليه دائماً وأبداً، والسلام بصيغة خاصّة مُختصرة، زيارة.

*الإستشفاء بتربته عليه السلام. *طلب الشهادة في دَرْب الحسين عليه السلام. *طلب الجاه عند الله تعالى بالحسين عليه السلام.

*الدعاء المُتجدِّد الدائم بأن يكون الداعي من الطالبين بثاره مع وليِّه المهدي عليه السلام.

*الحثّ الشديد على إحياء مجالس الحسين، وإنشاد الشعر في الحسين عليه السلام.

*الحثّ على المواظبة على زيارة عاشوراء، بما لم يَرِد مثله حول أيّ زيارة «**فإن استطعتَ أن تزوره بها في كلِّ يوم، فافعل**». *وَضْع شيء من التربة في القبر.

٣- أنّ تسعة من الأئمّة الإثني عشر، الأسباط، النُّقباء، الخلفاء، الذين تحدَّث عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالعدد وبالتسمية لهم جميعاً، هم -التسعة- من ذريّة الحسين عليه وعليهم السلام، وآخرهم المهديّ المنتظَر عجل الله فرجه الشريف الذي يَملأ الأرض بإذن الله تعالى بالهُدى والعدل.

البُشْرَى

بُشْراك يا فاتِحةَ الكِتابِ ... بالمُعجزِ الباقي مَدى الأَحْقابِ

وآيةِ التَّوحيدِ والرِّسالهْ ... وسِرِّ معنى لفظةِ الجَلالهْ

بَلْ هُوَ قُرآنٌ وفُرْقانٌ معا ... فَمَا أَجَلَّ شأنَهُ وأرْفَعا

هُوَ الكِتابُ النَّاطِقُ الإلَهيْ ... وهوَ مِثالُ ذاتِهِ كما هِيْ

ونَشأَةُ الأسْماءِ والشُّؤُونِ ... كُلُّ نُقُوشِ لَوْحِهِ المَكنُونِ

لا حُكْمَ لِلقضاءِ إلَّا ما حَكَمْ ... كَأَنَّهُ طَوْعُ بَنانِهِ القَلَمْ

رابِطَةُ المُرادِ بالإرادَهْ ... كَأَنَّهُ واسِطَةُ القِلادَهْ

ناطِقَةُ الوُجودِ عَيْنُ المَعرِفَهْ ... ونسْخَةُ اللَّاهُوتِ ذاتاً وَصِفَهْ

في يَدِهِ أَزِمَّةُ الأَيادِي ... بِالقَبْضِ والبَسْطِ على العِبَادِ

بَلْ يَدُهُ العُليَا يَدُ الإفاضَهْ ... في الأَمْرِ والخَلْقِ وَلا غَضَاضَهْ

(ديوان الأنوار القدسيّة، الفقيه والفيلسوف الشيخ محمّد حسين الأصفهاني)

أبحاثٌ حسينيَّة مُغيَّبة

قبل خَلْق الخَلْق، وفي سيرة النبيّين، وحديث الشهادة قبل الولادة

من دروس «المركز الإسلامي»

رسول الله ﷺ، سرُّ الخلق بإذن الله تعالى، والإمام الحسين عليه السلام من رسول الله ورسولُ الله منه، فالحسين عليه السلام سرُّ السرّ، وفي هذا السياق ينبغي أن نفهم حقيقة أنّ «الإسلام محمّديّ الحدوث، حُسينيّ البقاء». وفي هذا السياق أيضاً ينبغي البحث عن نقطة البداية في دراسة سيرة النبيّ الأعظم ﷺ. والحديث شجون. ما يرتبط من ذلك بالحديث عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام، قبل الولادة، ثلاثة مَحاور. الحسين قبل خلق آدم، ومع النبيّين، وحديث شهادته عليه السلام، قبل ولادته.

لدى البحث في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، ينبغي الوقوف عند ثلاثة مَحاور مركزيّة:

الأوّل: الإمام الحسين عليه السلام قبل خلْق النبيّ آدم عليه السلام.

الثاني: الإمام الحسين عليه السلام في سيرة النبيّين على نبيّنا وآله وعليه السلام.

الثالث: إخبار الله تعالى الأنبياء جميعاً، والنبيّ الأعظم ﷺ، قبل ولادة الحسين بشهادته عليه السلام.

وهذه المَحاور مُغيَّبة، ومهجورة، والسبب في هذا التغييب أمران:

* **الأوّل:** تأثير الغَزْو الثقافي المُعادي الذي بُنِيت على وهج ضرام أهوائه -المعزَّزة بالإعلام والإعلان وسَطْوة الفراعنة والقوارين- ثقافةٌ هَجينة، مُتغرِّبة حتّى الشمالة، تَحرص على أن «تَنسجم مع رُوح العصر» ولسان حال «مُثقّفيها»: «إشهدوا لي عند الأمير».

* **الثاني:** أنَّ البحث في هذه المحاور تخصُّصِيٌّ بامتياز، وكلّما شفَّت الحقيقة وبَعُد منالها، كَثُر المُعرِضون عنها، حتّى إنْ لم يَحملهم على ذلك ما هو السائد المُسوَّق والمُبهرَج، فكيف إذا اجتمع العاملان: الأوّل والثاني؟

إنَّ البحث في عالَم ما قبل الخَلق أشدّ تخصُّصيّة من البحث في بداية عالم الخَلق، وأقلّ مراتب الأخير أشدُّ تخصُّصيّة من أدقّ العلوم الطبيعيّة، كأبحاث الذّرّة مثلاً.

لقد أَلقت الثقافة الماديّة بظِلالها وضَلالها على حركة الفِكر «الإسلامي» لدى طَيْفٍ كبير من أبناء الأمّة، فإذا الذي يُظهَّر من التراث الفكري هو ما «يَنسجم مع روح العصر»! في حين يتمّ تغييب ما يَرتبط بالنشأة الأولى والنشأة الأُخرى- يوم القيامة، بل وتغييبُ كلّ ما يَمتّ إلى الغيب بصِلة، أو تُشَمُّ منه رائحة «الغَيْب» و«المُغيّبات»، فإذا وصل الأمر إلى مصطلحات من قبيل «عالم الذَّر»، أو «الأشباح»، أو «الأظِلَّة»، أو روايات «النُّور» و«الطِينة»، وحتّى قبل أن يَصل الحديث إلى مثل مصطلح «اللّطخ»، رأيتَهم ﴿..يصُدُّون عنك صُدوداً﴾ بذريعة تنزيه الدِّين عن «الغُنوصيّة» و«الخرافات». والهدف حقٌّ لا ريب فيه، إلّا أنَّ المنهج المعتمَد لتحقيقه منهج مادّي، وجسد بلا روح، وَقعْنا في وهدة هذه الموجة العاتية منه، يوم وَقع العالم الإسلامي في مَرمَى الغزو الثقافي المادّي، ثمّ الغزو العسكري الذي ما يزال يَتوالى فصولاً.

وعندما يصل الحديث في المفاهيم العقائديّة إلى المعصوم، تجد أنَّ حيارى هذا المنهج المادّي وضحاياه، يُجرِّدون المعصوم من كلّ بُعدٍ غيبي، ليُقدِّموه في ضوء ما تسمح به مقاييس «العالم المتحضِّر»! في ما يَزعمون، والذريعة هنا أن نقدِّم المعصوم إلى الناس بصورة «حضاريّة»، إلّا أنَّ الهدف هو -ولو عن غير قصد- أن لا يَخرجوا من بيت الطاعة الثقافيّة الصهيو-أميركيّة، فيُتّهمون بالتخلُّف! في مقابل ذلك، تَجِد العلماءَ المختصّين يَعتمدون المنهج العلمي في مقاربة الأبحاث العقائديّة، ليُقدِّموا للأجيال أدقّ الإضاءات على هذه الحقول المعرفيّة التخصُّصيّة.

في هامش تحقيقه لكتاب (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه، قال العالم الشهيد، الشيخ علي أكبر غفاري رحمه الله: «إعلم أنّه قد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أخبار كثيرة جداً، تربو على مئين، تُفيد على اختلاف مضامينها وتعبيراتها بأنّ بين وجود الواجب، ووجود المُمكِنات مَرتبة من الوجود شريفة، منها تَرَشَّح وجودها، وفيها جرى الفَيْضُ من مبدأه عليها، وقد عُبّر في جُلِّها أنّه تعالى خَلق من نوره هذا النُّور -وقد تَقدّس نوره عن ظلمة المادّة وغواشيها- ثمّ خَلق من هذا النُّور أنواراً أُخَر، أو شَقَّه فأوْجَدها منه، ونحو هذا النهج من التعبير.

وفي بعضها أنّ القلم واللّوح خُلِقا من هذا النُّور."..."

وقد أنكر بعض مَن لم يُرزق بصيرةً في دينه تلك الروايات الجمّة، بل المتواترة، وردَّها ونَسَبها إلى جَعْل الجاعلين، وغُلُوِّ الغالين، وأوهام المتصوِّفين. ولو ردَّ عِلمَها إلى أهله، وسَكت عن القوْل فيها بالإثبات والإنكار، لكان أحسن وأحوط. فليس في وسع الباحث الحازِم، والمحقِّق المُنصِف أن يرسل عنان القلم واللّسان في هذا الميدان، بل عليه إعمالُ غاية التثبُّت، وبَذْلُ نهاية الجهد، وإن لم يَنَل بعدُ بُغيتَه، ولم يَظفر على ما يشفي عِلّته، ويروي غُلَّته، فلا يتركنَّ الإحتياط، ولا يدَعَنَّ الحزْم، وَلْيَأخذ بالأحوط الأحزم، فإنّه الطريق الأسلم، فللعالَم أسرار، ولظواهره حقائق، وللكلّ أهلٌ، وكلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له "..." وقد تطابق العقل والنقل والبيان والبرهان، كما ادُّعي عليه الكشف والعَيان والشهود والوجدان، على أنَّ في باطن هذا العالَم عالَماً أشرف وأكمل، وكذا في باطنه حتّى ينتهي إلى الحقّ الأوّل، وقد سُمّيت تلك العوالم في الروايات بـ «الغَيْب» و«النّور» و«الرُّوح» و«الذَّرّ»، وأشباهها.

وقد عَبَّر عنها أصحاب الحكمة المتعالية بمراتب الوجود المشكِّكَة (المُتفاوِتة)، وكلّما أمعن (الفكر) في البطون وارتفع (وتسامى) سَنام الوجود، اشتدّ(ت) وحدته وبساطته، حتّى يصل إلى الواحد الأحد جلّ شأنه.

وعلى هذا، فما صَدَر عنه في طليعة المُمكنات موجودٌ واحدٌ شريفٌ، في غاية النوريّة والبهجة، وله ظهورٌ في كلّ عالَمٍ بِحَسبه، ولا غروَ أن يكون مظهرُه في عالم الطبيعة جسمَ النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ الوليّ الذي هو نفسه، وبِنته التي هي بضعةٌ منه، والأئمّة المعصومين المولودين بواسطتها عنه، وكلّهم نور واحد فافْهَم، ولعلّك بما ذُكِر تَقدر على حلّ ما أَشْكَل عليك من تلك الأخبار الحاكية عن بعض ما في الوجود من الحقائق والأسرار، والله يَهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم».

..أعطاهم علمي وفَهمي

عن الحسين بن علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال له: «**إذا مِتُّ فأبوك عليٌّ أَولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أَولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أَولى به. قلتُ: يا رسول الله، فمَن بعدي أَولى بي؟ فقال: ابنُك عليٌّ أَولى بك من بعدك، فإذا مضى فابنُه محمّد أَولى به من بعده، فإذا مضى فابنُه جعفر أَولى به من بعده، فإذا مضى جعفر فابنُه موسى أَولى به من بعده، فإذا مضى موسى فابنُه عليٌّ أَولى به من بعده، فإذا مضى عليٌّ فابنُه محمّد أَولى به من بعده، فإذا مضى محمّد فابنُه عليٌّ أَولى به من بعده، فإذا مضى عليٌّ فابنُه الحسن أَولى به من بعده، فإذا مضى الحسن وَقَعَت الغيبة في التاسع من وُلدك، فهذه الأئمّة التسعة من صُلبِك، أَعطاهم علمي وفَهمي، طينتُهم من طينتي. ما لِقَومٍ يُؤذوني فيهم، لا أنالهم اللهُ شفاعتي.**

(كفاية الأثر، الخزاز القمي)

لولاهم، لَمَا خَلَق اللّٰه تعالى آدم عليه السلام
نور الحسين قبل الخَلْق

الشيخ علي الجابري

كان نور الإمام الحسين عليه السلام، بين الأنوار الخمسة التي رآها النبيّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، بناءً على ما صحَّحه العلماء من الروايات ومنهم الشيخ المفيد قدّس سرّه، كما سيجد القارىء في ما يلي:

مِن أَوضح الأُسُس الإعتقاديّة المُجمَع عليها بين المسلمين، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله «سِرُّ الخَلق»، ولولاه لَمَا خَلَق الله النبيّ آدم عليه السلام، وما كان زيدٌ في الوجود ولا عمرو.

يتلازم مع هذا الأصل الأصيل، إجماعُ المسلمين على أنَّ تأكيد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله على الأجيال في العلاقة بالحسين السِّبط عليه السلام، هو تأكيدٌ شديد الخصوصيّة، بالغ الفرادة، يُلَخِّصه قوْلُ مَن قولُه «وحيٌ يُوحى»: «**حسينٌ منّي وأنا من حسين**».

إنَّ أهل البيت عليهم السلام، -جميعاً- تجلِّياتٌ نبويّة محمّديّة، شاء الله تعالى أن يرتبط بهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، بقاء الإسلام وحفظ الذِّكر، إلّا أنَّ للحسين عليه السلام من بينهم موقع القيادة الميدانيّة لمسيرة الرسالة الخاتمة. هذه القيادة المتواصلة منذ أعطى الحسين الراية لأخيه أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وإلى أن يتحقَّق وعدُ الله تعالى بإظهار الدِّين على الدِّين كلّه، وقيام الحكومة العالميّة الواحدة تحت شعار: «**يا لثارات الحسين**».

كلٌّ من الأئمّة الإثني عشر هو وارث النبيّين، على النبيّ الأعظم وآله وعليهم الصلاة والسلام، إلّا أنَّ الحسين عليه السلام وارث النبيّين الذي يتحقَّق باسمه، وفي مَسار كربلائه، حُلُم النبيّين وكلُّ آمالهم في بَسْط الهُدى والعدل. تسعة من الإئمّة الإثني عشر عَوَّض الله تعالى بهم الحسين -بعض العِوَض والجزاء- عن شهادته. تاسعُهم هو الطالب بِدَم المقتول بكربلاء، الذي ادَّخره الله تعالى وادَّخر له ولمسيرته وثورته النبويّة العالميّة النبيّ المُعظَّم عيسى عليه السلام، لِيَنصره، ويَقتدي به بإجماع المسلمين.

حسينيّةُ المهدي هي أبرز خصائصه عليه السلام، لأنَّ محمّديّة الحسين فوق أن تُدرِكَ كُنهَ أبعاد اتّحادها مع المحمَّديّة العقول: «**وأنا من حسين**».

القائل: «**وأنا من حسين**» هو مَن قال الله تعالى له: «**لولاك ما خلقتُ آدم**»، «**لولاك ما خلقتُ الأفلاك**»، وهو القائل: «**فسبَّحتِ الملائكة بتسبيحنا!**». لذلك، كان من الطبيعي أن يَقترن حديث خَلْق آدم بحديث الحسين عليه السلام.

حديث الحسين في مسار البشريّة في الدُّنيا، ومصيرها في الآخرة، حديث الهُدى الإلهي الذي بدأ مع أوّل إنسانٍ أراده الله تعالى أن يكون نبيّاً، يحمل أوّل فَيْض نور هدىً إلهيٍّ له ولِبَنيه، لآدم وبني آدم عليه السلام.

إذا كان التسلسل الطبيعي في دراسة سيرة أيّ شخص من بني آدم، هو البدء بالأَبوين، فالولادة، فإنّ التسلسل الطبيعي في دراسة سيرة المعصومين الأربعة عشر، هو البدء بمرحلة ما قبل خَلْق آدم عليه السلام، حيث لا سماء مَبنيّة ولا أرض مَدحيّة.

هذه هي الحقيقة المُغيَّبة التي تُلحّ على كلِّ مسلم أن يَقف عندها، بل يَنطلق في معرفة المعصوم منها، ويؤسِّس عليها، ويَعقد حبَّات القلوب ويَصوغ عقد اليقين على أساسها، وفي هَدْيِ نورها الإلهي، والنبوي، في الآيات والروايات.

وتجدر المبادرة هنا إلى التحذير الذي عَبَّر عنه العلّامة السيّد الطباطبائي قدس سره، بعدما عرض رواية «**أوّل ما خلق الله**"..." **نور نبيّك يا جابر**»، وخَشي السيِّد رحمه الله من هجمة «المنهج» السائد في التعاطي مع مثل هذه الروايات، واختطاف هذه الهجمة لقلوب بعض الأعزّاء، فإذا هم يصدُّون عن مثل هذا بتوهُّم العقلانيّة والتحضُّر: فقال في تفسير (الميزان):

«.. والأخبار في هذه المعاني كثيرة مُتضافرة، وأنت إذا أَجَلْتَ نظرة التأمُّل والإمعان فيها وجدتَها شواهد على ما قدَّمناه،

وسيجيء شطرٌ من الكلام في بعضها. وإيّاك أن ترمي أمثال هذه الأحاديث الشريفة المأثورة عن معادن العلم ومنابع الحكمة بأنّها من اختلاقات المتصوّفة وأوهامهم، فَلِلْخِلقة أسرار، وها همُ العلماء من طبقات أقوام الإنسان لا يألون جهداً في البحث عن أسرار الطبيعة، منذ أَخذ البشر في الإنتشار، وكلّما لاح لهم معلومٌ واحد بَانَ لهم مجاهيل كثيرة، وهي [ساحة أبحاثهم] عالم الطبيعة، الذي هو أَضيَق العوالِم. فما ظنّك بما وراءها، وهي عوالم النُّور والسَّعة».

**

من الآيات المباركة، حول تقدُّم خلْق الحقيقة المحمّديّة:

* ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة:٣١-٣٣.

* ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾. الأعراف:١٧٢.

وفي كُتُب المفسّرين والمُحدِّثين حول هاتين الآيتين وما يرتبط بهما من الأبحاث، ما يَرقى إلى مستوى أهمّ الأبحاث التخصصيّة، التي تقارب المُرتكَز العقائدي الأوّل في معرفة الحقيقة المحمّديّة، إلّا أنَّ هذه الأبحاث لا تَحظى بما يُناسبها من التظهير والبحث والتحليل، لِمَا تقدَّم بيانه.

* والروايات في هذه الموضوعات المُتعاضدة في تظهير مُجريات مراحل ما قبل الخَلق، فوق حدِّ الإستقصاء، ويكشف عن عظيم وفرتها أنَّ روايات بابٍ واحد منها، هي «روايات النور» تفوق المائتي رواية، كما نصَّ على ذلك بعض المُختصِّين.

وأكتفي هنا بذكر ما تَوصَّل إليه الشيخ المفيد رحمه الله، حول «مِحوَر الأشباح» في عالم ما قبل الخَلق، الذي هو من أبرز تلكم الموضوعات المتقدِّمة الذِّكر، كما أنَّه أشدُّ إثارةً لِمُدَّعي العقلانيّة، قياساً بعنوان «النُّور» أو أصل عنوان «قبل الخَلق» وغيرهما.

روايات «الأشباح» كما يراها الشيخ المفيد

خَصَّص الشيخ المفيد قدس سره، المسألة الثانية من كتابه (المسائل السّرويّة) للحديث عن «الأشباح، والذَّرّ، والأرواح»، فأورد سؤالاً وُجِّه إليه، ثمّ أجاب عنه. وهذا نصّ السؤال والجواب مع إضافة عناوين فرعيّة:

المسألة الثانية: في الأشباح والذَّرّ والأرواح. ما قوله -أدام الله تأييده- في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهادية عليهم السلام في الأشباح، وخَلْق الله تعالى الأرواح قبل خَلْقِه آدم عليه السلام بألفَي عام، وإخراج الذريّة من صلبه على صُوَر الذرّ؟ و[ما قوله في] معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الأرواح جنود مُجنَّدة، فما تَعارَف منها ائتلَف، وما تناكر منها اختَلَف**»؟

أباطيل الغُلاة

***الجواب**: وبالله التوفيق. إنَّ الأخبار بذِكر الأشباح تَختلف ألفاظها وتَتباين معانيها، وقد بَنَت الغُلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنَّفوا فيها كُتباً لَغَوْا فيها وهَذَوْا في ما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حَوَته الكُتُب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ، وتَخرَّصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سمَّوه: (كتاب الأشباح والأظِلَّة) ونسبوا تأليفه إلى «محمّد بن سنان». ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه، فإنْ كان صحيحاً فإنَّ ابن سنان قد طُعِن عليه، وهو متَّهمٌ بالغُلُوّ. فإن صَدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه، فهو ضالٌّ بضلاله عن الحق، وإنْ كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك.

الصحيح من حديث الأشباح

والصحيح من حديث الأشباح، الروايةُ التي جاءت عن الثقاة: بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورُها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: أنّها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وأَعْلَمَه أنْ لولا الأشباحُ التي رآها ما خَلَقَه ولا خلق سماءً، ولا أرضاً.

وجه الحكمة في ذلك

والوجهُ في ما أظهره الله تعالى من الأشباح والصُوَر لآدم عليه السلام أنْ دَلّه على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم، ومقدِّمةً لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أنَّ مصالح الدِّين والدُّنيا لا تَتمّ إلَّا بهم. ولم يكونوا في تلك الحال صُوَراً مُحياةً، ولا أرواحاً ناطقة، لكنَّها كانت صُوَراً على مثل صُوَرهم في البشريّة تدلُّ على ما يكونون عليه في المستقبل من الهيئة. والنُّورُ الذي جعله عليهم يدلُّ على نور الدِّين بهم، وضياء الحقِّ بحُجَجِهم.

أسماؤهم مكتوبة على العرش

وقد رُوِي أنَّ أسماءهم كانت مكتوبةً إذ ذاك على العرش، وأنَّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ، وناجاه بقبول توبته سَأله بِحقِّهم عليه، ومحلِّهم عنده، فأجابه. وهذا غير مُنكَرٍ في العقول ولا مُضادّ للشَّرع المعقول، وقد رواه الصالحون الثُّقاة المأمونون، وسلَّم لروايته طائفةُ الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره. والله وليُّ التوفيق. (برنامج مكتبة أهل البيت، المسائل السروية، الشيخ المفيد، ص ٣٧ - ٤٠).

***

وأنتَ ترى كيف تَعامَل هذا العالِم العَلَم مع الروايات التي لم تَثبُت صحَّتها، التي بنى الغُلاة عليها «لَغواً، وهَذَوْا فيها»، ليَخْلُص إلى التأكيد على الصحيح من روايات «الأشباح»، ثمّ أدرج عنواني محورَين بالغي الأهمية: أنَّ أسماء الرسول وأهل البيت عليهم السلام، كانت مكتوبة على العرش قبل خَلْق آدم عليهم وعليه السلام، وأنَّ توبة النبيّ آدم عليه السلام قد قُبلتْ بالتوسُّل بهم عليهم صلوات الله تعالى.

ومن الواضح أنَّ تغييب مثل هذه المحاور لدى دراسة سيرة المعصوم، يؤسِّس لِفتح بابِ كثيرٍ من الشُّبُهات التي تَبقى حائرة نتيجة اجتزاء معرفة المعصوم، واعتماد منهجيّةٍ للتعريف به لا تختلف عن منهجيّة دراسة سيرة غير المعصوم.

محلُّ الشاهد ممّا تقدَّم هو أنَّ الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام، بالإسم، كان قبل خَلق الله تعالى للنبيّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام، أحد الذين «لولاهم ما خلَق الله تعالى آدم عليه السلام»، كما نصّ الشيخ المفيد في تقريره للرواية التي صحّحها وبَنى عليها، فقال: «.. آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورُها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: أنَّها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وأَعلَمَه أنْ لولا الأشباحُ التي رآها، ما خَلَقَه ولا خَلَق سماءً ولا أرضاً».

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أنوار التسعة من ذريّة الإمام الحسين عليهم السلام، قد ذُكرت في ضمن ذِكر نور الحسين عليه السلام، لأنّ الله تعالى عَوَّضه بهم عن شهادته، ويُؤيِّد ذلك أنَّ في روايات ما قبل الخَلق الكثيرة جداً، ما يَرد فيه التصريح بالأنوار الإثني عشر. من ذلك رواية طويلة، جاء فيها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ليلة أسري بي إلى السماء "..." فأُوحي إليّ "..." يا محمّد! أَتُحبُّ أن ترى صورة شَبَحِك وأشباح خُلفائك من بعدك، عليٍّ وأحدَ عشر إماماً من ذريّته؟ قلت: نعم يا ربّ. فأوحى تعالى إليَّ، أن تَقدَّم أمامك. فتَقدّمت، فإذا أنا بأشباحٍ من نورٍ يتلألأ، مكتوبٌ عليها بالنور أسماؤنا، وهي: «محمّد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، و«م ح م د» بن الحسن»، وهو في وسطهم شبيه الكوكب الدُّرِّي.**

فقلتُ: يا ربّ! مَن هؤلاء؟ فأوحى إليَّ: أنْ يا محمّد! هذه ابنتُك والخلفاءُ من وُلدها من ذريّة وصيِّك عليّ، وهذا الذي بينهم كالكوكب الدُّرِّيّ، هو القائمُ المهدي؛ يَهدي أمّتك إلى الإيمان، ويُخرجها من الضلالة والطغيان، أَملأُ به الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظلماً وجَوْراً.

قلت: يا ربِّ! ما اسمه؟ فأَوحى إليّ: هو سَمِيُّك والمُوفِي بعهدك، وهؤلاء الأئمّة مَن ائْتَمَّ بهم نجا وسَلِم، وعذابي مقيمٌ على مَن جحدَهم حقَّهم، وهم أوليائي وخلفائي، وسكّان جنَّتي، وهم خِيَرتي من خَلْقي، فطُوبى لِمَن أحبَّهم وصدَّقهم، وويلٌ لِمَن جَحَد حقَّهم وكذَّب بهم».

الإمام الحسين في سيرة النبيِّين
وارثُ الأنبياء، معهم، ومع سيِّدهم

الشيخ حسين كوراني

تقدّم الحديث حول أنّ نور الحسين عليه السلام، كان بين الأنوار الخمسة التي رآها النبيّ آدم عليه السلام، حين فتح عينيه، فهي موجودة في عالم النُّور قبل وجوده. يؤسِّس ما تقدَّم، للحديث عن سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

ما يلي، تسليط الضوء على هذا المِحوَر الهامّ.

سيرة النبيِّين جميعاً حافلة بالحديث عن الحسين وشهادته عليه السلام، وليس هذا ضرباً من الغلُوِّ «الشيعي» كما قد يحلو لبعض الأعزّاء الضائعين، أو لبعض غيرهم من الضالِّين.

إنّه أساس عقائديّ بارز، علميّ، منهجيّ، متين، توفّرت حوله النصوص عن المعصومين عليهم السلام، بما لا يقبل الرَّد، ولا التوقُّف. إلَّا أنَّ «الناس أعداء ما جَهلوا»، فكما أدَّى الجهل -بحقيقة إجماع المسلمين على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله «سرُّ الخَلْق» بإذن الله تعالى- إلى التعامل مع مثل مصطلح «قُطب دائرة الوجود» في وَصْف رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّه من كلام الصوفيّين، أو شطحاتهم! كذلك أدَّى البُعد عن الآيات التي تتحدَّث عن موقع النبيّ الأعظم، كشاهد على الأنبياء عليه وآله وعليهم السلام، والبُعد عن الروايات الكثيرة جداً التي تتحدَّث عن أهل البيت عليهم السلام، مع رسول الله قبل خَلْق الخلق -أدّى هذا البُعد- إلى استنكار الحديث عن بكاء النبيّين على الإمام الحسين عليه السلام، أو استنكار توسُّل الأنبياء به وبأهل البيت عليهم السلام.

يُضيء ما سبق وما تقدَّم عن هذه المَحاور الثلاثة، على مشكلة حقيقيّة في مجال تصحيح العقيدة، يجب البدء في حلِّها بالإعتراف بها، واستجلاء أبعادها، والرجوع إلى «أهل الذِّكر» لتلقِّي الإجابات الشافية حولها.

ومِن أقصر الطُّرق في علاج هذا الخَلَل العقائدي، التنبُّه إلى ما يقتضيه «خطّ الإمام» في العقيدة التي يجب أن يُعقَد عليها القلب ليَلقى الله تعالى سليماً، فيُنجيه الله عزَّ وجلَّ من «جهنّم العقائد» التي بيّن الإمام الخميني عليه الرحمة والرضوان، أنّها -والعياذ بالله تعالى- أشدُّ إحراقاً من «جهنّم الأخلاق» و«جهنّم الأعمال».

ولم يَترك علماؤنا رضوان الله تعالى عليهم عذراً لِمُعتذِر، فقد أقاموا الحُجَّة، وأَوْضحوا الطريق، باستقصاء تفسير الآيات، وتحقيق أسناد الروايات ودلالاتها، وذلك ما يُضاعف مسؤوليّة مَن يُعاني منَّا مِن هذا الخَلَل العقائدي، الذي اتّسعت رقعتُه جرّاء موجة التغريب كما مرّ، ووَصَل الأمر إلى موقفٍ مُسبَق من «المُغيَّبات» بحجّة العقلانيّة الموهومة، التي هي بحسب القرآن الكريم ﴿..قلوبٌ لا يَفقهون بها..﴾، وبحسب الروايات التي كانت في معاوية: «..تلك النَّكراء، تلك الشَّيْطنة».

من حديث الحسين عليه السلام قبل الخلق

يتداخل موضوع الحديث عن سيِّد الشهداء مع النبيّين، مع حديثه عليه السلام قبل الخَلْق، لأنَّ أوّل حديث عن معرفة النبيّين عليهم السلام بالحسين عليه السلام، يبدأ حين فتح النبيّ آدم عينيه. (أنظر: «الإمام الحسين قبل الخلْق» من هذا الملف).

* ومن أبرز مَن تتبّع ما ورد حول الإمام الحسين عليه السلام، عن مرحلة ما قبل الخَلْق، ومع النبيّين، العالم الجليل «ابن قُولُويْه» أستاذ الشيخ المفيد قدّس سرّهما، الذي يُعبِّر عنه الشيخ المفيد بقوله: «شيخنا الثّقة الفقيه أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه».

تتبّع هذا الفقيه الجليل «ابن قُولُويه» الآيات والروايات حول هذه المَحاورِ العقائديّة في كتابه (كامل الزيارات)، الذي تحظى رواياته بدرجة عالية من الإعتبار. قال في (البحار): «وكتاب (كامل الزيارة) من الأصول المعروفة، وأخذ منه الشيخ في (التهذيب) وغيرُه من المحدِّثين». وجاء في مقدِّمة مُحقِّق هذا الكتاب القيِّم: «وهو من مصادر الحرِّ العاملي في (الوسائل)، وعَدَّهُ من الكُتُب المعتمَدة التي شَهد بصحّتها مؤلِّفوها وغيرهم، وقامت القرائن على ثُبوتها، وتَواترت عن مؤلِّفيها، وعُلمت نسبتُها إليهم، بحيث لم يبقَ فيها شكّ ولا رَيْب، كوجودها بخطوط أكابر العلماء، وتكرُّر ذكرها في مصنَّفاتهم، وشهادتُهم بنسبتها، وموافقة مضامينها لروايات الكُتُب المتواترة. وبما ذكرناه، تعرف ما حازه من الأهميّة الكبرى والثقة الأكيدة لدى الشيعة، وذلك لموقف صاحبه من الضَّبط ومحلّه من الصِّدق، ومكانته من السَّداد، ومقامه من الأمانة».

معرفة الأنبياء بالحسين عليه السلام

وتكفي نظرة في أبواب كتاب (كامل الزيارات) لإثبات أهمّيّته، واسْتِشعار مدى الغربة عن مضمونها. من عناوين الأبواب عن مرحلة ما قبل الخلْق:

* ما نَزل من القرآن بقتل الحسين عليه السلام. * لَعْنُ اللهِ تبارك وتعالى، ولَعْنُ الأنبياءِ قاتلَ الحسين بن عليّ عليهما السلام.

* عِلْم الملائكة بقتل الحسين عليه السلام. * عِلْم الأنبياء بقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام.

ونجد بين روايات الباب الأخير-وهو محلّ البحث- ما يلي:

* عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**إنَّ إسماعيل الذي قال الله تعالى في كتابه:** ﴿واذْكُر في الكتابِ إسماعيلَ إنّه كانَ صادقَ الوَعْد..﴾، **أُخِذ فسُلِخت فَرْوَةُ وجهه ورأسه، فأتاه ملَك، فقال: إنّ الله بعثني إليك فَمُرني بما شئت، فقال: لي أُسوةٌ بالحسين بن عليّ، عليهما السلام**».

* وقد وردت تفاصيل وافية في رواية ثانية عنه عليه السلام حول هذا النبيّ الكريم في الكتاب نفسه، والباب عينِه، جاء فيها: «**إسماعيل بن حزقيل النبيّ عليه السلام، بَعَثَه الله إلى قومه فكذّبوه فقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب اللهُ له عليهم، فوجَّه إليه إسطاطائيل ملَك العذاب، فقال له: يا إسماعيل، أنا إسطاطائيل ملَك العذاب وجَّهني إليك ربُّ العزَّة، لِأُعذِّب قومك بأنواع العذاب، إنْ شئتَ. فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك. فأوحى الله إليه، فما حاجتُك يا إسماعيل؟ فقال: يا ربِّ، إنَّك أخذتَ الميثاق لنفسك بالربوبيّة، ولمحمَّدٍ بالنبوّة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرتَ خَيْر خلْقك (أي النبيّ محمّداً، صلى الله عليه وآله) بما تفعل أُمّتُه بالحسين بن عليّ عليهما السلام من بعد نبيِّها، وأنّك وَعدْتَ الحسين عليه السلام أن يكرَّ (أي يرجع) إلى الدُّنيا حتّى يَنتقم بنفسه مِمَّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا ربِّ أن تُكرِّرَني إلى الدُّنيا حتّى أَنتقِم مِمَّن فعل ذلك بي، كما تكرّ الحسين عليه السلام، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يَكرُّ مع الحسين عليه السلام**».

* ومن روايات (كمال الدّين، وتمام النعمة) للشيخ الصدوق، و(الإحتجاج) للطَبرسي، حول «بكاء زكرياء على الحسين عليه السلام» في رواية طويلة تتضمَّن أسئلة «سعد بن عبد الله» للإمام المهدي في زمن أبيه الإمام العسكري، وإجاباته عليه السلام عليها، جاء فيها: «يا مولاي يا ابن رسول الله، أخبرني عن تأويل كهيعص؟ قال: **هذه الحروف من أنباء الغيب أطْلَعَ الله عليه عبْدَه زكريّا، ثمّ قَصَّها على محمّدٍ صلى الله عليه وآله، وذلك أنَّ زكريّا عليه السلام سأل الله عزَّ وجلَّ أن يُعلِّمه أسماء الخمسة، فهَبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلَّمه إيّاها، وكان زكريّا إذا ذَكَر محمَّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، سَرَى عنه همُّه وانجلى عنه كربُه، وإذا ذكر الحسين عليه السلام خَنقتْه الجهرة (الرَّوْع)، ووقعت عليه البُهرة (تَتابُع النَّفَس)، فقال ذات يوم: يا إلهي ما بالي إذا ذكرتُ أربعة منهم تَسلَّيْتُ بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تَدمع عيني وتَثور زفرتي، فأَنبأَه الله عزَّ وجلّ عن قصَّته، وقال: كهيعص: فكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة الطاهرة، والياء يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه، والصَّاد صبرُه. فلمَّا سمع زكريا بذلك لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومَنع الناس من الدخول عليه، وأَقبَل على البكاء والنَّحيب، وكانت ندبته: إلهي، أَتَفْجَعُ خَيْر جميعِ خلْقك بولده؟ إلهي أَتُنزِل هذه الرزيَّة بفنائه؟ إلهي أَتُلبِسُ عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أَتُحلُّ كربةَ هذه الفجيعة بساحتهما؟ ثمَّ قال: أَللَّهمَّ ارزقني ولداً تُقرّ به عيني على الكِبَر، واجعله وارثاً رضيّاً، يوازي محلّه منّي محلَّ الحسين عليه السلام، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجَعُ محمّداً حبيبك. وكان حَمْل يحيى ستّة أشهر، وحَمْل الحسين كذلك، وله قصّة طويلة**».

مرور الأنبياء بكربلاء

وفي كتاب (العوالم) وغيره من المصادر، روايات حول مرور الأنبياء بكربلاء، ومعرفتهم بشهادة الإمام الحسين فيها وتفجُّعهم عليه، وممَّن ورد الحديث عن مرورهم بكربلاء: النبيّ آدم، النبيّ نوح، النبيّ إبراهيم، النبيّ سليمان، النبيّ موسى ومعه وصيُّه يوشع بن نون، النبيّ عيسى على نبيّنا وآله وعليهم الصلاة والسلام.

وقد أورد الشيخ الطوسي في (التهذيب)، والحرّ العاملي في (وسائل الشيعة) رواية عن الإمام السجّاد عليه السلام، حول أنَّ ولادة النبيّ عيسى عليه السلام كانت في«كربلاء». جاء في الرواية: «..**حتّى أَتَت كربلاء، فوضعته** [أي ولدته] **في موضع قبر الحسين، ثمّ رَجعتْ من ليلتها**».

لمّا خلق الله إبراهيم

وتتكاثر الروايات في توضيح معرفة الأنبياء بالحسين عليه وعليهم السلام. ومن أبرزها، هذه الرواية:

عن أبي بصير قال: «سأل جابر الجعفي أبا عبد الله [الصادق] عليه السلام عن تفسير قوله عزَّ وجلَّ ﴿وإنَّ من شيعتِهِ لَإبراهيم﴾، فقال: **إنّ الله لمَّا خلق إبراهيم، كَشف له عن بصره، فَنَظر، فرأى نوراً إلى جنب العرش. فقال إلهي ما هذا النُّور؟ فقال له: هذا نور محمَّد صلى الله عليه وآله صفوتي مِن خَلْقي. ورأى نوراً إلى جنبه، فقال: إلهي وما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ناصرِ دِيني. ورأى إلى جنبهم ثلاثة أنوار، فقال: إلهي وما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة عليها السلام فَطَمتْ مُحبِّيها من النار، ونور وَلَدَيْها الحسن والحسين عليهما السلام. فقال: إلهي، وأَرى أنواراً تسعة قد حَفُّوا بهم؟ قيل: يا إبراهيم، هؤلاء الأئمّة عليهم السلام من وُلد عليٍّ وفاطمة...**».

زيارة الأنبياء للحسين بن عليّ عليهما السلام

* أورد الشيخ «ابن قولويه» عدّة روايات في هذا المجال، منها:

* عن الإمام الصادق عليه السلام: * «**ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنّه يَنزل من السماء كلَّ مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتَهم، حتّى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فيُسلِّمون عليه، ثمّ يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيُسلِّمون عليه، ثمَّ يأتون قبر الحسين عليه السلام فيُسلِّمون عليه، ثمَّ يَعرُجون إلى السماء قبل أن تَطلع الشمس، ثمَّ تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملَك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارَهم، حتّى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فيُسلِّمون عليه، ثمَّ يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيُسلِّمون عليه، ثمَّ يأتون قبر الحسين عليه السلام فيُسلِّمون عليه، ثمَّ يَعْرُجون إلى السماء قبل أن تَغيب الشمس**».

* «**ليس (ملَكٌ ولا) نبيّ في السماوات إلّا ويسألون الله تعالى أن يأذن لهم في زيارة الحسين عليه السلام، فَفَوْجٌ يَنزل وفَوْجٌ يَصعد**».

* «**قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسَّراً، روضة من رياض الجنَّة، وفيه مِعراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملَكٍ مقرَّب، ولا نبيٍّ مُرسَل، إلّا وهو يسأل الله أن يزوره، فَفَوْجٌ يَهبط وفَوْج يَصعد**».

**

وهكذا يتَّضِح أنَّ معرفة النبيّين بالإمام الحسين، قد بدأت عند خلْق الله تعالى النبيَّ آدم، ثمّ تواصلت في جميع مراحل النبوّات، وتَواصل الحديث عنها من خلال توسُّل النبيّين برسول الله سيّد النبيّين وأهلِ بيته، عليهم جميعاً صلوات الله تعالى، أو من خلال بكاء النبيّين مُصابَ الحسين عليه وعليهم السلام، أو من خلال مرورهم عليهم السلام بكربلاء، أو حديثهم عن شهادة الحسين، كما تقدّم من حديث النبيّ زكريّا، أو النبيّ إسماعيل، عليهم صلوات الله تعالى وسلامه.

ولا بدَّ من التنبُّه إلى أنَّ هذه العَظَمة للحسين عليه السلام، هي فرع العَظَمة المحمّديّة بإذن الله تعالى، والتي لا تدانيها عَظَمة مخلوق، من نبيٍّ مُرسَل، ولا مَلَكٍ مُقرَّب. من هنا، كان أهل البيت من الحقيقة المحمّديّة، وهكذا تحدَّث عنهم القرآن الكريم، وسيِّدهم وسيّدُ النبيّين رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، ولو لم يَكن من الحديث الشريف إلّا قوله صلى الله عليه وآله: «**حسينٌ منّي وأنا من حسين**»، لكفى به أصلاً أصيلاً يَفتح مصاريع أبواب البحث على كلِّ الحقائق المُتقدِّمة.

حديث الأنبياء والملائكة، عن شهادة الحسين

نزول الوحي بالشهادة قبل الولادة

السيّد محمّد موسوي كريميان

شهادة الإمام الحسين، الموعودُ بها الأنبياء، والملائكة، وسيّدُ الخَلْق أجمعين النبيُّ الأعظم ﷺ، وأهل البيت عليهم السلام، والموعود بها الحسين عليه السلام، كانت في علم الله تعالى، قبل خَلْق الخَلْق، واسطةَ العقد الإنساني، وجوهر رحلة البشريّة على وجه الأرض، ولذلك كان من الطبيعي أن يجري الحديث عنها قبل «استهلاله» عليه السلام، وقبل «ولادته».

جرى الحديث عن شهادة الإمام الحسين الموعودة، مع النبيّين، وتَحدَّثوا هم عليهم السلام بها وعنها، وجَرى حديثها مع الملائكة، وبينهم، وفي رسائل حملوها إلى رسول الله ﷺ، قبل ولادة الحسين، وفي زيارات التهنئة بولادته عليه السلام، ثمَّ في محطّاتٍ متكرِّرة، من قبيل حديث جبرئيل المتكرِّر جداً، وحديث المَلَك فُطْرس، أو ملَك القَطْر وغير ذلك.

وفي كلٍّ من هذه العناوين والمَحاور، روايات يُشكِّل مجموعها وثائق بالغة الأهميّة، تَشترك كلُّها في الدلالة على فرادة موقع الإمام الحسين عليه السلام، في وراثة النبيّين، وتحقيق الله تعالى وعدَه بإظهار الدِّين على الدِّين كلِّه تحت شعار: «**يا لثارات الحسين**». الأمر الذي يضعنا وجهاً لوجه أمام الخطّة الإلهيّة المُكتملة من بداية رحلة الهُدى الإلهي، إلى أن يَرِث اللهُ الأرض ومَن عليها، وأنَّ الطابع العامّ لهذه المسيرة هو جهاد النبيّين في مواجهة الطواغيت، الذي يَتركَّز كلُّه ويَتجلَّى في جهاد سيِّد الشهداء، لِيَنْطَلق في كربلاء وبعدها، حسينيّاً تخفق بنوده إلى يوم القيامة.

هذه الشهادة الموعود بها الأنبياء، والملائكة، وسيّد الخلق أجمعين النبيّ الأعظم ﷺ، وأهل البيت عليهم السلام، والموعود بها الحسين عليه السلام، كانت في عِلْم الله تعالى، قبل خَلْق الخَلْق واسطة العَقد الإنساني، وجوهر رحلة البشريّة على وجه الأرض، ولذلك كان من الطبيعي أن يجري الحديث عنها قبل «استهلاله» عليه السلام، وقبل «ولادته».

شهادة بالإختيار

وكان من الطبيعي أيضاً، أن يَبدأ الحديث عن شهادة الإمام الحسين، مع سيِّد النبيّين ﷺ، -ولِيَصل ذلك إلى الأجيال- من نقطة تظهير ما كان في علم الله أنَّه سيتَحقَّق، ويكون، وهو أنّ رسول الله ﷺ، تقبّل هذه الشهادة مُختاراً، كما كان إقدام نبيّ الله إبراهيم على نبيّنا وآله و عليه السلام، على ذبح ابنه مُختاراً، وأنَّ أمير المؤمنين عليّاً والصِّدِّيقة الكبرى الزهراء عليهما السلام، تَقبَّلا خبر الشهادة، عندما عَلِما بما أَطْلَعَهما الله تعالى عليه من عظيم بركاتها ونتائجها على مستوى مسيرة الإنسانيّة كلِّها.

لأوّل وهلة، قد يبدو مستهجناً ما سيأتي من سؤال الله تعالى النبيّ الأكرم ﷺ، هل يَقبل بولادة مولودٍ تَقتله أمّته من بعده، ورفْض رسول الله لذلك، ثمَّ إخبار الله تعالى نبيَّه عن علاقة ذلك بمسيرة الهُدى الإلهي عبر القرون، فيَرضى الرسول ﷺ ويُخبر عليّاً والزهراء، فيَرضيان بعد امتناعٍ كما امتنع سيِّد المرسلين من قبل.

غير أنَّ التأمُّل في سياق التظهير لِما كان ثابتاً في علم الله تعالى قبل بَدْءِ الخَلْق، والتأمّل في أن الشهادة اختيار، والرضا بالشهادة -من كلّ مَن يؤسِّس للشهادة، سواءً الشهيد نفسه، أم من يُقدِّم الشهيد- هو أيضاً اختيارٌ، يؤتى طَوْعاً. يكشف -التأمّلان التظهير، والإختيار- أنَّ عمليّة سؤال الله تعالى لِنَبيِّه، هي عملية حقيقيّة، أُريد منها ما أُريد من النبيّ إبراهيم عليه السلام، حين أَقدم على ذبح ابنه اختياراً.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أتى جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: السلام عليك يا محمّد، ألا أُبشّرك بغلامٍ تقتلُه أُمّتك من بعدك؟ فقال: لا حاجة لي فيه.** قال [الصادق عليه السلام]: **فانقضّ [جبرئيل] إلى السماء، ثمّ عاد إليه الثانية، فقال له مثلَ ذلك. فقال صلى الله عليه وآله: لا حاجةَ لي فيه، فانعرج إلى السماء، ثمّ انقضَّ إليه الثالثة فقال مثلَ ذلك، فقال: لا حاجةَ لي فيه.** [يكشف هذا، أنّ الهدف كان حتّى الآن، هو السؤال: هل ترضى ليُولد]، **فقال** [جبرئيل عليه السلام، في المرة الثالثة]: **إنّ ربَّك جاعلُ الوصيّة في عَقِبِه. فقال: نعم.**

ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل على فاطمة عليها السلام فقال لها: **إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني فبشّرني بغلام تَقتلُه أُمّتي من بعدي، فقالت: لا حاجةَ لي فيه، فقال لها: إنّ ربّي جاعلُ الوصيّة في عَقِبِه، فقالت: نعم إذَنْ. قال** [الصادق عليه السلام]: **فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى عند ذلك هذه الآية: ﴿حملته أمُّه كُرْهاً ووضعتْه كُرْهاً﴾، لِموضع إعلام جبرئيل إيّاها بقتله، فحملته كُرهاً بأنّه مقتول، ووضعته كُرها لأنّه مقتول».**

أوّل مجلس عزاء حسيني

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لمّا أنْ هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام، أخذ بِيَد عليٍّ فخَلا به مليّاً من النهار، فَغَلَبَتْهما العَبرة، فلم يَتفرَّقا حتّى هبط عليهما جبرئيل عليه السلام -أو قال: رسول ربِّ العالمين- فقال لهما: ربّكما يُقرؤكما السلام، ويقول: قد عزمتُ عليكما لَمّا صَبَرْتُما، قال: فصَبَرا».**

* وحول ما يُحتمَل أنّه المجلس الحسيني الثاني، نقرأ في رواية، هي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: «**دخَلتْ فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تدمعان، فسألَتْه: ما لك؟ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أَخبرني أنّ أُمّتي تَقتل حسيناً، فجزعتْ وشَقّ عليها، فأخبرَها بِمَن يملك من وُلدها، فطابتْ نفسها، وسَكَنَتْ».**

**

إلى هنا، يكون هذا الملف قد تكفّل بالتّنبيه إلى مَحاور رئيسة مُغيَّبة في مجال التعرُّف على سيّد الشهداء والمعصومين عموماً عليهم السلام، وكلُّها قبل الولادة، على أمل أن تُوفّق «شعائر» لتقديم ملفّات أخرى: من الولادة إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، من وفاة الرسول إلى خروج الحسين عليه السلام من المدينة. وهذه المَحاور هي أيضاً -في العموم- مُغيَّبة وإنْ بدرجةٍ أقلّ من تَغييب مَحاور ما قبل الولادة، رغم أنّها بالغة الأهمّية، خصوصاً في باب عِلْم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته، والتأسيس لفهم حقيقة أحداث الشهادة الموعودة قبل الإستهلال والولادة.

أبو المهدي

بمَهْدِكَ آياتٌ ظَهَرْنَ لفُطْرُسِ
وَآيَةُ عيسى أن تكلّمَ في المَهْدِ
فإنْ سادَ في أمٍ فأنتَ ابنُ فاطمٍ
وإنْ سادَ في مَهْدٍ فأنتَ أبو المَهْدي

إسمي الحسين..

مهدي جناح الكاظمي

مهدي جناح الكاظمي: وُلد في مدينة الكاظميّة المشرَّفة سنة ١٩٥٠م، بدأ يكتب الشعر منذ نعومة أظفاره.له ديوان مطبوع: «تعلّمتُ من الحسين»، لم يحوِ الكثير من شعره، لأنّ أغلب قصائده قد أُحرقت خوفاً من السلطة السابقة في العراق، فبقِي القليل من شعره في ذاكرته.

أُقصدوني أنا كهف الخائفينْ ... ويدي مبسوطةٌ للسائلينْ
وضريحي صار للعرش قرينْ ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
أُقصدوني فأنا غيثُ السماءْ ... فيكم داءٌ وفي قبري الشفاءْ
ودمي عَلَّمَكم معنى الإباءْ ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
أُقصدوني فأنا غوثُ الطَّريدِ ... وأنا سيفٌ على كلِّ يزيدِ
أنا مَن حرَّر هاماتِ العبيدِ ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
إنَّ جبريل إلى مهدي قَصَدْ ... ورأى آيةَ مجدي فَسجَدْ
بدمي صلّى وللعرش صعَدْ ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
أنا من يصرعُ أحداقَ النجومْ ... في عيونٍ ظمئت نبعي تروم
مهجةُ الدِّين على قبري تحومْ ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
قُبَّتي يَطلُعُ منها المشرقُ ... وفُراتي البحرُ فيه يغرَقُ
أنا للحقِّ لسانٌ ينطقُ ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
أنا قلبٌ في ضلوع المصطفى ... وعلى البيت تُرابي شرفا
حسبيَ الزهراءُ أُمِّي وكفى ... أُقصدوني فأنا إسمي الحسين
وعليٌّ والدي خيرُ البشرْ ... وإذا عبدٌ به شكَّ كَفَرْ

ذاك مَـن في إسـمـه الـعـرشُ استقرْ ... أُقـصـدوني فـأنـا إسـمـي الحـسـين
يـعـلـم الـبـيـت ضريحـي بـيـتـهُ ... بـشـظـايـا أضْـلُـعـي شـيَّـدتُـهُ
ولـه نهـر دمـي أجـريـتُـهُ ... أُقـصـدوني فـأنـا إسـمـي الحـسـين
أنـني شـلّالُ حـبٍّ لـلـوجـودْ ... نَـفْـحُ تـيّـاري تحـاشـتْـه الـسـدودْ
وطـريـقـي لـرضى الله يـقـودْ ... أُقـصـدوني فـأنـا إسـمـي الحـسـين
أنـا مَـن أبـكـى عـيـونَ الحـجـرِ ... مـثـلَ مـا أدمـى عـيـونَ الـسُّـوَرِ
مـشـعـلُ الأحـرار أضـحـى مـنـبري ... أُقـصـدوني فـأنـا إسـمـي الحـسـين
قـلـمُ الحـكـمـة مـن جـرحـي دنـا ... قـال يـا مـلـهـمَ روحـي مَـن أنـا
قـلـتُ عـبـدٌ مـن عـبـيـدي فانحنى ... أُقـصـدوني فـأنـا إسـمـي الحـسـين
جـدِّي المـخـتـارُ قـد عـلَّـمـني ... حـيـنـمـا مـا كـان ومـا لم يـكـنِ
في يـدي ألـقـى زمـامَ الـزمـنِ ... أُقـصـدوني فـأنـا إسـمـي الحـسـين.

خمس عشرة خصلة تُورث البلاء

«إذا عملت أمّتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء، قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: إذا كانت المَغانم دُولاً، والأمانة مَغنماً، والزكاة مَغرماً، وأطاع الرجل زوجتَه، وعقَّ أمَّه، وبَرَّ صديقه، وجفا أباه، وكان زعيمُ القوم أرذلَهم، وأكرَمَه القوم مخافةَ شرِّه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتّخذوا القِينات [المغنيّات]، وضربوا بالمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، فليرتقب عند ذلك الريح الحمراء، أو الخَسْف، أو المَسْخ».

رسول الله صلّى الله عليه وآله